في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجا وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم واما غير
العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا
واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله تعالى واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد
عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك
وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصايها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما لو ارتكب
منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك لا ينبغي ان تتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والريا والغل وانتفاخ
الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله تعالى فربما جرى عليك في باطنك
من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله عز وجل ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسوق من طاعات القلوب من حب
الله تعالى واخلاص وخوف وتعظيم ما انتحا عنه وقد كفر ذلك سياته فينكشف الغطا يوم القيمة فتراه
فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت
مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب
غيرك لا يخفف شيا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى
نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة
حتى بلغ العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده
فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي اشر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو
خير منه سره وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خايفا
من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله عز وجل فرحمه
الله تعالى ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يامن ما اظهر من الطاعه
ان يكون دخلها الافات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه
وبالجملة من جوز ان يكون عند الله تعالى شقيا وقد سبق القضا الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال
من الاحوال نعم اذا غلب الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا اوى الى
جبل فقيل له في النوم ايت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فسله عن عمله فاخبره ان يصوم
النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس
كالتفرغ لطاعة الله تعالى فاتي في النوم ثانيا فقيل له ايت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه
فسله فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدل على
فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اي يوتون الطاعات وهم على وجل عظيم من
قبولها وذلك وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال سبحانه انا كنا قبل في اهلنا مشفقين

وقد وصف الله تعالى الملايكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدوب بالاشفاق
فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال
الاشفاق والحذر مما سبق به القضا في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلبة الامن من مكر الله تعالى
وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك والكبر دليل الامن فالامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد
فاذا ما يفسد العابد باضمار واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر
الاعمال فهذه معارف بها يزال دا الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب بعد هذه المعرفة قد يضمر التواضع
ويدعي البراة من الكبر وهو كاذب فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا
ينبغي ان يكتفي بالمداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواضع هيجان
الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت
الامتحانات كثيرة الامتحان الاول ان يناظر في مسلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شي من الحق على لسان صاحبه
فيثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف له والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل
على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه
وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف
بالحق ويطلق اللسان بالحمد والثنا ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن
ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني عليه فالحكمة ضالة المومن فاذا وجدها فينبغي
ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار له ذلك طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه
وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثنا على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل
في الملا فليس فيه كبر وانما فيه ريا فيعالج الريا بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان
منفعته في كماله في ذاته عند الله تعالى لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الريا وان ثقل عليه في الخلوة
والملا جميعا ففيه الكبر والريا جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج
كلا الدايين جميعا فانهما جميعا مهلكان الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل
فيقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب
عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وها هنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف
النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك
يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون
قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف
النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر عن الباطن الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير

Copyright © King Saud University